التي شفا وها فيه وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفا يعني القران لانه شفا من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقربها قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا قوله عز وجل والله خلقكم يعني اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيا ثم يتوفاكم يعني عند انقضا اجالكم اما صبيانا او شبانا واما كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني الى اردأه واصعبه وهو الهرم قال بعض العلما ان عمر الانسان له اربع مراتب اولها من النشو والنما وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى اربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل المرتبة الثالثة سن الكهولة من الاربعين الى الستين سنة وهذه المرتبة تشرع الانسان الى النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة من الشيخوخة والانحطاط من الستين الى اخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة ق عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهولا الدعوات اللهم اني اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات لكيلا يعلم بعد علم شيا يعني ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم من قدرته انه كما قدر على اماتته واحيايه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيايه بعد اماتته فيكون ذلك هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيايه بعد اماتته فيكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت كان اجود قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس هذا في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقا الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة قال عكرمة رضي الله عنه من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيا وقال في قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات هم الذين قروا القران وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المومنين فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله عز وجل ان الله عليم بما صنع باوليايه واعدايه قدير يعني على ما يريد قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني ان الله تعالى بسط على واحد وضيق على واحد وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على واحد وكما فضل بعضهم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضهم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما يقتضيه حكمة الالهية والقدرة الربانية فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله تعالى هم لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سوا وقد جعلوا عبيدي شركاي في ملكي وسلطاني فيلزم بهذه الحجة على المشركين حيث جعلوا الاصنام شركا لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم احد يرضى ان يشركه مملوكه في ملكه وجميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل معنى الاية ان الموالي والمماليك الله رزقهم جميعا فهم فيه يعني في رزقه سوا

فلا

فلا تحسبن الموالي انهم يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على ايديهم المماليك والمقصود منه بيان ان الرزاق هو الله تعالى لجميع خلقه وان الموالي والمماليك في ذلك سوا وان المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمماليك والمالك هو الله تعالى وقوله افبنعمة الله يجحدون فيه انكار على المشركين بحيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره قوله عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني النسا خلق من ادم حوى زوجته وقيل جعل لكم من انفسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه ادم وحوى خلاف الدليل وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع في الطاعة ومنه قوله في الدعا واليك نسعى ونحفد اي نسرع الى طاعتك هذا اصله في اللغة ثم اختلفت اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود انهم اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الاية وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهن فيحصل لكم بسببهن الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من اعانك فقد حفدك وقال عطا هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم اهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون الاكابر الاولاد الذين يعينون الرجل على اهله وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم ولد الولد وفي رواية اخرى عنه انهم بنو امراة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله تعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة قوله ورزقكم من الطيبات يعني النعم التي انعم بها عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله قوله افبالباطل يومنون يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يومنون وقيل معناه يصدقون ان لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكار عليهم لهم ذلك وبنعمت الله هم يكفرون يعني انهم يضيفون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض الذي لا يقدرون على انزال المطر الذي في السموات خزاينه ولا يقدرون على اخراج النبات التي في الارض معدنه شيا يعني لا يملك من الارزاق شيا يعني لا يملك من الرزق شيا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون ما لا يرزق شيا ولا يستطيعون يعني ولا يقدرون على شي يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر فلا تضربوا لله الامثال اي يعني لا تشبهوا الله بخلقه فانه واحد لا مثل له ولا شبيه له ولا شريك له من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق او الرازق بالمرزوق او القادر بالعاجز ان الله يعلم خطا ما انتم عليه من ضرب الامثال له وانتم لا تعلمون خطا ما تضربون له من الامثال قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم ضرب هو لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم الله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق كيف شا فصريح العقل يشهد بانه لا تسوية بينهما ولا يجوز في التعظيم والاجلال التسوية بينهما مع استوايهما في الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شي البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمومن والكافر فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شي هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله تعالى وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شي وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المومن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغا مرضاته وهو قوله عز وجل فهو ينفق منه

Copyright © King Saud University